

المقطف

الجزء الثاني من المجلد الرابع عشر بعد المئة

٣ ربيع الثاني سنة ١٣٦٨

١١١٩

الروحانية وتطورها

عند البدائيين وفي العصر القديم

— ٤ —

(تمة البحث)

طالع أرسطوطاليس علم النفس منتحياً الوجهة الأحيائية (Biological)، فَيَجْمَل النفس أو الروح — (psyche) — بِنُسخي في اليونانية — من نصيب كل الأشياء المادية التي لها قدرات مختلفة على الحركة النباتية والنمو، أي لكل المتعضيات الحية. وكان مرماه من ذلك أن يفرق بين ما يتعيف بالحياة وبين اللاعضويات أو العالم اللاعضوي أي التي لا حياة فيه، فقال بأن ما فيه حياة «حيوان»^(١) أي حي أو «ذو نفس» أو «ذو روح». أمّا كلمة بِنُسخي اليونانية كما فهمها أرسطوطاليس فأقرب ترجمة عربية لها هي «الحياة» : Life أو «البدأ الحيوي»، وأبعد ما نكون فهماً للمعنى الذي عناه أرسطو إذا ترجمناها «روح» أو «نفس». فالحياة أو «البدأ الحيوي» عند المعلم الأول هو الذي يميز بين التعضي الحي وبين الأشياء اللاعضوية، وينطوي تحت هذا

(١) وإن العام الآخرة لم يحرر الجوارح (قرآن كريم)

المعنى كل الخصائص التي للأحياء ، بما فيها القدرات العقلية . ولقد تكون أكثر انصاحاً من المعنى التي عناء أرسطو طاليس إذا قلنا إنه قصد « بالروح » أو « النفس » مجموع الوظائف الحيويّة .

من مجموع القدرات الحيويّة أو بالحري « القوى النفسية » لتتعميات ، استطاع أرسطو طاليس أن يفرق بين خمس صور مختلفة :

- (١) مجموع القوة النباتية : كالإستبراء والنمو والتوالد
- (٢) الشهوة والرغبة أو الدافع
- (٣) الإحساس
- (٤) الحركة الذاتية في خلال المكان
- (٥) التفكير العقلي .

لا يشارك النبات الحيوان في شيء من ذلك إلا في الأولى دون الباقيات . أما الحيوان فله الأربعة الأوكل ، لأن اختصاصه بالوسطيات الثلاث يتضمن الأولى استتباعاً . أما الإنسان فيختص بهؤلاء جميعاً ، ويتفرد بقوة العقل .

ليست هذه القدرات وظائف تقوم بها « نفوس » مختلفة ، ولا هي مجالي مختلفة لأجزاء النفس . ذلك بأن النفس « وحدة » وكل كائن حي إنما هو توليف من نفس وجسم . ومع هذا فإن النفس والجسم ليسا شيئين مستقلين ، لأنه يتمدح على أحدهما أن يبقى بدون صاحبه ، وأنه لا يمكن الفصل بينهما إلا في « التفكير » والنفس لا يمكن اعتبارها شيئاً مادبياً ، ولكن يتمدح انفصالها عن المادة . أما الجسم فهو « السبب المادي » للكائن المتعصي ، في حين أنه النفس هي « السبب الفاعلي » بحكم أنها تحدث حركاته . وهي فوق ذلك « السبب الصوري » لتتعضي بحكم أنها هي التي تحدد صورة الفرد المعصوي . وفوق هذا وذلك هي « السبب الذاتي » لأنها هي الغرض الذي من أجله يوجد الجسم .

هذه هي الخطوط الرقيقة في مذهب أرسطو طاليس . أما ما يتفرع عنها كاتصالية النفس والجسد ، أو علاقة النفس بالحياة والعقل ، تلك تفاصيل لا نعرض لها هنا ، لأنها

بعيدة عما نرى إليه من تلخيص التفكير في الروح أو النفس .
ومن محن البحوث التي سقنا فيها القول في مذهب الروحانية ، نجد أن هناك فكرة
شاملة قائمة في التفرقة بين النفس والجسم أو بين الروح والمادة ، تلك الفكرة التي ثبتها
أفلاطون في تسايليدانيا الثقافية ، وإن هذه الفكرة لم تضعف ولم تهين في زمن من الأزمان .
ولكن العصر الذهبي لهذه الفكرة ونعني به العصر الذي ظهر فيه سقراط وأفلاطون
وإرسطو طاليس ، قد عقبه عصر غلبت فيه ظواهر التمسك فذاعت فيه المذاهب الشككية
وبرزت الآراء المادية التي حاولت أن تقضي على الشائبة التي قال بها أفلاطون . فإن أبيقور
وقد انتسق مذهب ديمقريطس في الذرات (الجواهر الفردة) قد بشر بأن الروح عبارة
عن مادة لطيفة تنتشر في جميع أبعاد الجسم ، وهي أشبه ما تكون بالهواء المشبع بتليل من
الدفء ، وقال بأنها من أجزاء الجسم ، يستطيع الجسم بها أن يشارك في الاحساس وأنه
تندثر بانفثار الجسم . فإذا حدث الموت تناوت ذرات الروح في الهواء . وفرق أبيقور بين
مظهرين من مظاهر النفس أو الروح . الأول المظهر اللاعقلي أو القوة الحيوية التي تتحكم
في كل أجزاء الجسم ، والمظهر العقلي ومستقره الصدر وهو عضو الفهم والارادة . وفي
هذا جراه لوكريشوس .

ولقد عقب على ذلك الرواقيون فكان لهم مذهب جديد يقول بأن النفس أو الروح
لها أساس مادي يتألف من الهواء والنار ، وإن هذا الأساس هو الذي يحكم في الجسم
نماء وشعوراً وتذكيراً .



وعلى هذا ظل الفكر الإنساني متراوفاً بين مادية أبيقور والشككية وبين المذهب
الرواقي ، حتى ظهور الأفلاطونية الجديدة في الاسكندرية والمذاهب النصرانية فكانت
الأفلاطونية الجديدة مثلاً لما تطور إليه الفكر الأخريقي ، والنصرانية مثلاً لما تطورت إليه
المذاهب العبرانية .

اسماعيل مطهر